في اشرف المقامات فزاده هجوه فى انزل القرآن عليه فى مما نزلنا على عبدنا انزل على عبده الكتاب نزل الفرقان
على عبده وفي مقام الدعوة اليه فى وانه لما قام عبد الله يدعوه وفى مقام الاسراء والوحى اليه فى اسرى بعبده فاوحى
فلو كان له وصف اشرف منه لذكره به فى تلك المقامات العلية ومن ثم خيره صلى الله عليه وسلم بين ان يكون نبيا
ملكا او نبيا عبدا فاختار الثانى وسليمان سئل الاول فانظر بعد ما بين المرتبتين وسبب اشرفية هذا الوصف
ان الالوهية والسيادة والربوبية وانما هى بالحقيقة لله لا لغيره والعبودية بالحقيقة لمن دون ففى
الوصف بها اشارة اى اشارة الى غاية كماله تعالى وتعاليه واحتياج غيره اليه في ساير احواله **ورسوله**
من تفسيره كالنبى بما يعلم منه ان بينهما عموما مطلقا واثر ذكره اشارة الى رد ما عليه ابن عبد السلام من
تفضيل النبوة لتعلقها بالحق على الرسالة لتعلقها بالخلق ووجه رده ان الرسالة فيها التعلقان كما
هو ظاهر والكلام فى نبوة الرسول مع رسالته والا فالرسول افضل من النبي قطعا **وحبيبه** الاكبر اذ
محبة الله تعالى للعبد المستفادة من قوله تعالى يحبهم ويحبونه على حسب معرفته واعرف الناس بالله تعالى نبينا محمد
صلى الله عليه وسلم فهو احبهم له واحقهم باسم الحبيب وسيأتى الكلام على المحبة فى حديث ازهد فى الدنيا يحبك
الله وحبيبه حبيب فعيل من احب فهو محب او حبه يحبه بكسر الحاء فهو محبوب **وخليله** الاعظم فعيل بمعنى
مفعول ايضا من الخلة بالفتح وهى الحاجة ولذا وصف بها ابراهيم عليه الصلاة والسلام لما قصر حاجته على ربه
حين جاءه جبرائيل عليه الصلاة والسلام وهو فى المنجنيق ليرمى به فى النار فقال له الك حاجة فقال
اما اليك فلا او بالضم وهى تخلل مودة فى القلب لا تدع فيه خلاء الا ملأته لما خالله من اسرار الهيبة
ومكنون الغيوب والمعرفة لاصطفائه عن ان يطرقه نظر لغيره ومن ثم قال صلى الله عليه وسلم لو كنت
متخذا خليلا غير ربي لاتخذت ابا بكر خليلا واختلفوا ايهما ارفع مقام المحبة او الخلة فقال قوم المحبة ارفع
لخبر البيهقى انه تعالى قال ليلة الاسرا يا محمد سل تعط فقال يا رب اتخذت ابراهيم خليلا وكلمت موسى
تكليما فقال الم اعطك خيرا من هذا الى قوله واتخذتك حبيبا او ما فى معناه ولان الحبيب يصل بلا واسطة
بخلاف الخليل قال تعالى فى ذكر نبينا صلى الله عليه وسلم فكان قاب قوسين او ادنى وفى ابراهيم عليه
الصلاة والسلام وكذلك نرى ابراهيم ملكوت السموات والارض فالخليل قال ولا تخزنى وفي المحبة
خشيه والحبيب قيل له يوم لا يخزى الله النبى يا ايها النبى حسبك الله وقال قوم الخلة ارفع ورجحه جماعة
متأخرون كالبدر الزركشى وغيره لان الخلة اخص من المحبة اذ هى توجدها فهى غايتها ومن
ثم اخبر نبينا صلى الله عليه وسلم بان الله تعالى اتخذه خليلا وهى ان يكون له خليل غير ربه مع اخباره بمحبة جماعة
من اصحابه وايضا فانه تعالى يحب التوابين والمتطهرين والصابرين والمحسنين والمتقين والمقسطين وخلته

خاصة

خاصة بالخليلين قال ابن القيم وظن ان المحبة ارفع وان ابراهيم عليه الصلاة والسلام خليل ومحمد صلى
الله عليه وسلم حبيب غلط وجهل ورد واما احتج به الاولون مما مر بانه انما يقتضى تفضيل ذات محمد صلى الله
عليه وسلم على ذات ابراهيم عليه الصلاة والسلام مع قطع النظر عن وصف المحبة والخلة وهذا لا نزاع
فيه انما النزاع فى الافضلية المستندة الى احد الوصفين والذي قامت عليه الادلة استنادها الى وصف
الخلة الموجودة فى كل من الخليلين فخلة كل منهما افضل من محبته واختصاصها بالتوفر معناها السابق فيهما
اكثر من بقية الانبياء ولكن هذا التوفر فى نبينا اكثر منه فى ابراهيم كانت خلته ارفع من خلة ابراهيم صلى
الله عليهما وسلم **افضل المخلوقين** كلهم بشهادة قوله صلى الله عليه وسلم انا سيد الناس يوم القيمة رواه
البخارى وقوله سيد العالمين رواه البيهقى والعالمون وان اختص بالعقلاء على ما مر فهم افضل انواع
المخلوقات فاذا فضل هذا النوع فقد فضل ساير الانواع بالضرورة وقوله انا سيد ولد ادم ولا فخر
وبيدى لواء الحمد ولا فخر وما من نبى ادم فما سواه الا تحت لوائى رواه الترمذي ومن اخص هذا او صريح
الاولين علمت افضليته على ادم فقوله انا سيد ولد ادم اما للتأدب مع ادم او لانه علم فضل بعض بنيه
عليه كابراهيم فاذا فضل نبينا الافضل من ادم فقد فضل ادم بالاولى ولا ينافى التفضيل بين الانبيا قوله
تعالى لا نفرق بين احد منهم ولا ما فى الاحاديث الصحيحة من قوله صلى الله عليه وسلم لا تفضلونى وفى رواية
لا تخيرونى وفى رواية على الانبياء وفى اخرى لا تخيروا بين الانبياء ولا ينافى تفضيل نبينا صلى الله
عليه وسلم عليهم قوله فى الحديث المتفق عليه من قال انا خير من يونس ابن متى فقد كذب وذلك لان عدم التفرقة
بينهم انما هى بالايمان بهم وبما جاؤا به واما المنهى فانما هو تفضيل فى ذات النبوة او الرسالة اذ الكل
فيها سواء او على تفضيل يؤدى الى تنقيص بعضهم او على التواضع منه بقوله لا تفضلونى على الانبيا واما
قبل علمه بتفضيله عليهم وان استبعد بان راويه ابو هريرة ومتاخر الاسلام سبع فيجد انه لم يعلمه
الا بعد هذا واجاب جمع كمالك وامام الحرمين عن خبر يونس بما حاصله ان تفضيل نبينا صلى الله عليه وسلم بالامور
الحسية كالشفاعة الكبرى وكونه تحت لوائه والاسرا به الى فوق سبع سموات مع النزول بيونس الى قعر البحر
معلوم بالضرورة فلم يبق الا النهى بالنسبة الى القرب والبعد من الله تعالى المتوهم التفاوت فيه بين من
فوق السموات ومن فى قعر البحر فبين صلى الله عليه وسلم انهما حينئذ بالنسبة الى القرب والبعد من الله
تعالى على حد سوا لتعاليه تعالى عن الجهة والمكان علوا كبيرا ففيه ابلغ رد على الجهوية والمجسمة قاتلهم
الله تعالى ما اجهلهم لا يقال هو تعالى فضل الملا الاعلى على الحضيض الادنى فكيف لا يفضل باعتبار
ذلك لانا نقول ليس النهى عن مطلق التفضيل بل عن مقيد بالمكان يفهم منه القرب المكانى فهو لم يفضل

Copyright © King Saud University